الدرس الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

- كان الحديث قد وقف بنا -أيها الإخوة والأخوات- عند غزوة بدر الكبرى، والتي وقعت في السابع عشر من شهر رمضان المبارك، من تلك السنة، وهي السنة الثانية.
- وهذه وقعة لا يُشبهها وقعة في تاريخ الإسلام، فهي وقعة سمَّاها الله -عز وجل، أو سمَّى يومها يوم الفرقان؛ لأن الله فرَّق فيها بين الحق والباطل، ويوم أعز الله -عز وجل- فيه المسلمين، وأذل فيه الكفر والكافرين، وجعل الله -عز وجل- لمن شهدها مِن المناقب والفضائل، ما لم يجعله لأحدٍ شهد ما سواها من الغزوات والمعارك، فقد قال -عليه الصلاة والسلام- كما في قصة حاطب المشهورة: «وما يدريك، لعل الله اطلع إلى أهل بدر، فقال: افعلوا ما شئتم، فقد غفرت لكم».
- **ومِن أسباب عظمة هذه المعركة، أو الغزوة، أنها:**

☑ **أولاً:** أتت على غير ميعاد، كما قال الله -عز وجل-: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: 42].

☑ **ثانياً:** كان الغرض منها حرب اقتصادية، وهو الاعتراض على العير التي كانت قادمة من الشام، بقيادة أبي سفيان، كما أشرنا إليها في الحلقة الماضية، حينما خرج في غزوة العشير، ليتلقوا القافلة التي كانت متجهة إلى الشام.

- أبو سفيان الآن قادم، والصحابة -رضي الله عنهم- قد أُخرجوا من ديارهم وأموالهم، أُخذت أموالهم، وسُلِبوا، وطُردوا من بيوتهم وديارهم، فكان في هذا الاعتراض نوعًا مِن القصاص الاقتصادي، -إن صحت العبارة-.
- لم يكن هناك تخطيط أبدًا لقضية القتال، ولهذا قال الله -عز وجل- في أوائل سورة الأنفال، وهذه السورة يسميها ابن عباس: سورة غزوة بدر، قال: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ [الأنفال: 5].
- لماذا؟ يكرهون القتال الكراهية الفطرية، كما قال الله -عز وجل-: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: 216].

- لا أحد يحب أن يفارق بلده، لا أحد يحب أن تُقطع رقبته، ولا أن يَسيل دمه، ولكن هذا الكُره مباشرة يزول، إذا كان في ذات الله -عز وجل-، وإذا كان أمرًا من الله، وأمرًا من رسوله -صلى الله عليه وسلم-.
- قال الله -عز وجل-: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: 7، 8]، إلى آخر الآيات الكريمات.
- إذن، هذه من أسباب هذه الغزوة، وكونها أول غزوة كُبرى، التقى فيها المشركون بالمسلمين، ووجه كونها كُبرى، أنه مرَّ معنا غزوة بدر الأولى، التي غَزَا النبي -صلى الله عليه وسلم- فيها، موضع بدر، لكن لم يحصل فيها قتال، فرجع إلى المدينة.
- هذا وجه تسميتها غزوة بدر الكبرى؛ لأن بعض الناس يقول: لماذا نقول الكبرى؟ نقول غزوة بدر ونكتفي؟ وللتمييز بينها وبين غزوة بدر الأولى، التي مضت في أوائل السنة الثانية للهجرة.
- الخريطة الآن تمثل لنا موقع بدر من المدينة، وموقع بدر من مكة، لاحظوا الآن اللون هذا أظن اسم الغزوة أو اسم المنطقة واضح، هذه الغزوة، هذا موقع الغزوة. أبو سفيان جاء مِن هذه الجهة، جاء من جهة الشام، فلما شعر بالخوف، وأن النبي -عليه الصلاة والسلام- والمسلمون في المدينة يريدون أن يعترضوا العير، لجأ بالقافلة إلى سِيف البحر، إلى جهة البحر، هنا، في هذه المناطق، فلما تيقَّن أنه نجا من لقاء المسلمين، أرسل إلى أهل مكة، الذين خرجوا من هنا، قال لهم: ارجعوا، انتهى الموضوع، لا حاجة لخروجكم الآن لقتال المسلمين، والمشركون خرجوا في حدود تسعمائة وخمسين رجل، من تسعمائة إلى ألف رجل، بينما الصحابة كانوا على الثلث تمامًا، ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، ثلاثمائة وأربعة عشر، في قول أكثر السير، لكن كما قال الله -عز وجل-: ﴿لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: 42].
- لما بلغت هذه الكلمة أبا جهلٍ، قال: **"والله لا نرجع، حتى نشرب الخمر، وتضرب علينا القيان، وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا أبدًا"**. وسبحان الله، كانت فيها الكسرة، التي لم يقم لقريش بعدها قائمة، وكانوا كما يُقال: من سُفْلٍ إلى أسفل. وبالفعل تحقق أمرٌ لم يكن ببالهم.
- التقوا في تلك المنطقة، وأطال ابن كثير -رحمه الله-، وهنا يصعب أن نقرأ كل ما ذكره الحافظ -رحمه الله- في هذا الموضع، لكن الخلاصة: أنه لما وقعت هناك مشاهد، لا نتجاوزها، المشهد الأول أو الأمر الأول، نعلها عليها واحدًا واحدًا: نبدأ بقوله هنا: أنه لم يكن معه من الخيل سوى فرس الزبير، وفرس المقداد بن الأسود، كما ترون في الشاشة، والإبل سبعون بعيراً فقط، يعتقب الرجلان والثلاثة فأكثر على البعير الواحد، ثم ذكر نماذج من هذه الاعتقابات، التي وقعوا فيها.
- حمل الراية علي بن أبي طالب، ومُصعب بن عمير، هذه من جهة المهاجرين، ومن جهة الأنصار كانت بيد سعد بن معاذ، وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة.
- هذا الأمر الأول، أنه بعث -عليه الصلاة والسلام- رجل يقال له بَسْبَس بن عمرو الجهني، ويُقال بُسَيْسَة، ما جاء في صحيح مسلم، والخطب في هذا سهل، والدرس الذي يُستفاد من هذا: أن الجسَّ أو التجسس على العدو جائز، ولا بأس به، وليس داخلاً في التجسس المنهي عنه، قال النبي -عليه الصلاة والسلام- كما في

حديث جابر في البخاري: «الحرب خَدْعة»، ويُقال: «خُدعة»، وهي بالفتح أفصح، كما أشار إلى ذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني.

- ثم أشار إلى قضية أبي سفيان، وأنه أرسل إلى أهل مكة أن ارجعوا، وقال أبو جهلٍ مقولته المشهورة.
- وخرج المشركون من مكة، كما وصفهم الله -عز وجل- ﴿بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ [الأنفال: 47]، البطر كما سمعتموه "تضرب علينا القيان، نشرب الخمر" إلى آخره، ﴿وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ "حتى لا يبقى أحد في العرب إلا وقد هابنا"، لكن لم يكن الأمر كما توقع، ولا كما ظن.
- وفي هذا فائدة، وهي: أن المسلمين إذا صدقوا مع الله -عز وجل-، وفعلوا ما بوسعهم من الأسباب، فإنَّ الله تعالى يُجري لهم مِن الآيات ما لا يخطر لهم على بال، فإن الله له جنود السماوات والأرض، وقد يخذل الأعداء بأسبابٍ ليست بمقدورهم هم، مثل الرُّعب، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «نُصرت بالرُّعب»، وقد ينصرهم الله بالرياح، وقد ينصرهم الله -عز وجل- بأشياء أخرى، كما وقع في غزوة الأحزاب، وستأتي -إن شاء الله تعالى-، المهم ما هو: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: 7]، أن ينصر المسلمون دين الله -عز وجل-، وأن لا يحاربوه، بترك شريعته، أو تنحيتها، أو بأكل الربا، أو غير ذلك من صور الحرب على الله ورسوله، أو بإعلان المنكرات.
- الأمر الثاني الذي أشار إليه الحافظ ابن كثير في مشهد الغزوة: أنه سار حتى كان قريبًا مِن بدر، ثم بدأ يستشير الصحابة -رضي الله عنهم-.
- استشار الصحابة، فقام أبو بكر، ثم استشارهم مرة ثانية، فقام عمر، فكأن سعد بن معاذ -رضي الله عنه- فهم الرسالة.
- ما هي الرسالة؟ يريد أحد من الأنصار أن يتكلم؛ لأن الأنصار عاهدوه على النصرة أين؟ في المدينة، فخشي النبي -عليه الصلاة والسلام- أن لا يكون مثل هذا الخروج داخلاً في بنود النصرة.
- فقام سعد -رضي الله عنه- وقال: "يا رسول الله، اغزوا بنا حيث شئت، فوالله لو بلغت بنا "بَرْكَ الغَمَاد" -وهو موضع بعيد- لخضناه معك"
- فَسُرَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- من هذا الكلام، وهذا ترويه كتب السير، ولا يخلو مثل هذا المشهد من جهة الرواية من كلام يسير، لكن كما ذكرنا ورددنا أكثر من مرة، مثل أخبار السير، إذا لم يكن فيها حكم، حلال وحرام، أو حكم عقائدي، أو شيء من هذا القبيل، ولا يخالف الأحاديث الصحاح، فإن أهل العلم لا يشددون في هذه الأخبار، ويمشونها.
- ثم ذكر قصة أبا جهلٍ، وما أراده، وقوله: لن نرجع، إلى آخره، وفي هذا درس آخر، وهو: أن الله -عز وجل- إذا أراد خذلان عبدٍ، ساقه إلى حتفه، وسبحان الله، انظروا إلى الفرق بين موقف أبي جهل، وبين موقف أبي سفيان، أبو جهل أخذته العزة بالإثم، وقال نفعل ونفعل، بينما أبو سفيان، كان أعقل منه، لما رأى أن القافلة الاقتصادية نجت، خلاص، ليس من الحكمة أن تبتدئ حروباً، مع خصومك، الحروب وقودها دماء، ووقودها ترميل نساء، وتيتيم أطفال، وقد تنكسر عسكريًّا، فلا يقوم لك بعد ذلك قائمة، انظر إلى مآل أبي

جهل، وانظر إلى مآل أبي سفيان، أراد الله بأبي سفيان خيرًا، فبقي، حتى دخل في الإسلام في فتح مكة، سنة ثمانٍ من الهجرة ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: 213].

- ثم ذكر مشهدًا آخرًا، وهو: مشهد الاستشارة، وهو أن الحباب بن عمرو بن المنذر، سأل النبي -عليه الصلاة والسلام-، هذا ذكره ابن كثير، ولاحظوا أن ابن كثير لم يتعقبه، مع أن إسناده ضعيف، بل قال عنه الذهبي: إنه منكر من جهة السند، لكن كما ذكرت لكم ابن كثير جارٍ على سنن الأئمة في إيراد أخبار السير، دون التقصُّد لهذا، وأمر الشورى لا نحتاج فيه إلى هذه القصة، بل هو ثابت في القرآن الكريم، في قوله -عز وجل-: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: 159]، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 38]، لكن هذه مشاهد تطبيقية، لا يشدد فيها العلماء -كما قلت لكم- لأنها لا تخالف أصولاً، ولا يوجد شيءٌ يُستنكر فيها.
- ثم ذكر قضية المشاورة، وقال: إننا نقترح أن نأتي إلى موقع الغزوة؛ لنحول بينهم وبين المياه والآبار الموجودة في منطقة بدر.
- انظروا إلى الصورة الآن التي سأعرضها كيف جاء المسلمون، لاحظوا الصورة الآن، يعني مشهد المعركة بهذا الشكل، لاحظوا في أعلى الصورة من اليسار فوق، هذا العريش، وهو مكان يُشبه الخيمة، جلس فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- طيلة الغزوة يناجي ربه -عز وجل-: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض»، وكان يدعو الله -عز وجل- كثيرًا، بالنصرة، وحصلت مواقف كثيرة.
- هنا بمشورة الحُباب التي أوردها الحافظ -رحمه الله-، تقدَّم المسلمون حتى دفنوا ما قبلهم من الآبار، كما تذكر كتب السير، حتى لم يُبقوا إلا الآبار القريبة منهم، لماذا؟ ليحولوا بين المشركين وبين الماء، وإذا نفذ الماء في تلك الصحراء القاحلة، فماذا تتوقع من الجيش؟ يهلك، عندك نوق، وإبل، وعندك رجال، فإذا ضعفوا وخاروا، خلاص هذا انهيار معنوي، وإذا انهارت الأبدان، وانهارت المعنويات، فهذه علامة الهزيمة.
- صورة أخرى لمشهد المعركة، وهي التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: 42] ما المقصود بالعدوة الدنيا؟ يعني جهة الوادي الدنيا، أي إلى الشمال، تذكرتم موقع بدر أين؟ تقريبًا هي شمال غرب تقريبًا المدينة، لاحظوا الآن في الصورة السابقة المدينة هنا، لاحظوا السهم هذا الأعلى، المدينة في هذا الاتجاه، ومكة في هذا الاتجاه، هنا الصورة الأخرى التالية، توضح لنا أرض المعركة تمامًا، هنا ماء بدر، في هذا الموضع، هذا ماء بدر، وهذا العريش، وهو مكان يُشبه الخيمة، من سعف النخل، ليُظل النبي -عليه الصلاة والسلام-، كان الجو حاراً، وهنا معسكر المسلمين الأول، قبل الإشارة، يعني كان أول ما جاء المسلمون إلى غزوة بدر، كانوا في هذا الموضع، بجانب كلمة "العدوة الدنيا"، هذا الموضع الأول، فلما اقترح الحباب بن المنذر، الاقتراح الذي سبق، تقدَّموا، لاحظوا هنا حوض، وهنا مياه، فتقدموا إلى هذا الموقع، وكانوا قرابة ثلاثمائة وأربعة عشر مجاهدًا، -رضوان الله عليهم أجمعين-.
- هنا نلاحظ ستأتي قصة المبارزة بعد قليل، الشاهد: هنا قدِم المشركون من مكة، من هذه الجهة، من جهة أسفل الصورة، واقتربوا إلى هذا الموضع، ليس أمامهم من المياه حوض واحد، وكانوا قرابة تسعمائة وخمسين مقاتل، كما ترون في هذا الموضع من الخريطة. إذن هذه الصورة الآن.

- إذا تصورنا هذا، ننتقل إلى تعليق الحافظ ابن كثير، يقول: مشى النبي -صلى الله عليه وسلم- في موضع المعركة، بعد أن بذل كل الأسباب المادية والحسية والتحفيز المعنوي للصحابة، وكان يقول: «لا يقاتل أحد هؤلاء فيُقتل صابراً محتسباً إلا أدخله الله الجنة» ، ولما سمع عمير بن الحمام -رضي الله عنه وأرضاه- كلام النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا، وكان بيده تمرات، لا تكاد تتجاوز الخمس أو السبع، فلما سمع هذا، قال: "لئن بقيت لأن حتى آكل هذه التمرات، إنها لحياة طويلة". سبحان الله، رأى أن المدة التي يبقى فيها ليأكل خمس تمرات، يمكن ما تكلف ثلاث دقائق، لكنها إذا كانت عقبة دون الجنة، فهي حياة طويلة، لاحظتم، هذا مقصوده.
- فلما بذل النبي -صلى الله عليه وسلم- هذه الأسباب كلها، ورتب الجيش، واستشار، وشيء من هذا القبيل، هذا: «هذا مصرع فلان»، هذا أيضًا تحفيز معنوي آخر، رغَّبهم في الجنة، وبيَّن لهم أن مصارع القوم قريبة، وفي تحفيزه -صلى الله عليه وسلم- للصحابة بذكر الآخرة، درس تربوي للآباء والأمهات، للمعلمين، للمدرسين في حِلق القرآن، لا تستطيع أنت أن تُغري الناس دائمًا بالدنيا، وقد لا تملكها أصلاً، لكن أعظم ترغيب وتحفيز، تكره على أولادك ومن تحت يدك من الطلاب، هو تعليقهم بالآخرة، فهذه هي طريقة الأنبياء. انظر ماذا قال مؤمن آل فرعون: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: 39]، إبراهيم -عليه السلام- لما ذكر الله -عز وجل- له عند دعوات، قال: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: 41]، التعليق بالآخرة هو من أعظم الأساليب التي يعلق بها المربون من تحت أيديهم، مهما أردت، ومهما حاولت أن تعطيه أموال، أو تعطيه كذا، ستبدأ نفسه تتطلع إلى ما هو أعظم، ثم أنت تتوقف وتعجز، فيا أيها المربون والمربيات، احرصوا على تربية من تحت أيديكم، وتحفيزهم بالمطالب العالية، بالآخرة، بالله عليكم، لو علَّقتم الابن والبنت بأنه إذا كفَّ عن الحرام، أو فعل الواجب، أن الله -عز وجل- يرضى عنه، وأنه سيدخل الجنة، التي سيجد فيها النبي -عليه الصلاة والسلام-، ويجد فيها إبراهيم وموسى وعيسى، فيجد فيها أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وهؤلاء الصحب الكرام، أيها أعظم؟ أم تقول له: سأعطيك خمسين ريال، أو مائة ريال، اليوم تعطيه مائة، لكن بكرة كم ستأتيه؟ مائتين، بكرة وبعده ثلاثمائة ألف، ثم تتوقف، تقول: انتهت الحوافز التي عندي، وأنا لا أنكر الحوافز المادية المحسوسة، لكن لا تكن هي الغالبة، ولا هي الطاغية، علِّقهم برضا الله، علِّقهم بالجنة، علِّقهم بالخوف من النار، هذه التي تبقى معهم في حياتك، وبعد مماتك.
- يقول -رحمه الله- بعد ذلك: "بات النبي -صلى الله عليه وسلم- يصلي إلى جذم شجرة هناك". يعني إلى أصل شجرة، إذن هذه من الاستعداد لقتال الأعداء، وهو حُسن الصلة بالله -عز وجل-، والدعاء، فلا أحد يسخر من الدعاء، ولا يقلل من شأنه، بل هو أحد الأسباب التي يُستنصر بها، قال الله -عز وجل-: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: 9]، وكان من دعائه -عليه الصلاة والسلام-: «اللهم هذه قريش قد أقبلت في فخرها وخيلائها، تحادك وتحاد رسولك» -صلى الله عليه وسلم-.
- المهم أنه -عليه الصلاة والسلام- لما أعد الجيش للقتال، وتهيأ الصفان، خرج ثلاثة من كفار قريش، عتبة، والوليد، ورجل ثالث، وهو قيل شيبة، وقيل عتبة، فاختلفوا أو طلبوا البراز، عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، هؤلاء الثلاثة، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار، عوف، ومعوَّذ بن عفراء، وعبد الله بن

رواحة، قالوا: من أنتم؟ قالوا: فلان، وفلان، وفلان، قالوا: من الأنصار؟ قالوا: أكفاءٌ كرام، ولكننا نريد بني عمنا، نحن الآن خرجنا لنقاتل بني عمنا، يقصدون من قريش، فبرز إليهم علي بن أبي طالب، الأسد، الضرغام، وخرج إليه عبيدة بن الحارث، وخرج إليه أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنهم-. هذا ابن عمر الرسول، وهذا عم الرسول، ورضوان الله عليهم أجمعين.

- أما علي، فقتل الوليد، وأما حمزة فقتل عتبة، وقيل شيبة، وأما الثالث وهو الوليد، فقد اختلف هو وعبيدة بن الحارث ضربتين، كلاهما لم يقتل صاحبه، فجاء علي وحمزة، فحملا على الوليد فقتلاه، وأما عبيدة -رضي الله عنه- فبقي أياماً ثم لحق بربه شهيداً -رضي الله عنه وأرضاه-. هذا من المشاهد التي ابتدأت فيها هذه المعركة، وعلي -رضي الله عنه- يقول: أنا أول من يجثوا للخصومة عند الله -عز وجل-، ثم تلا هذه الآية: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: 19].
- هنا نلاحظ نموذجاً من نماذج تحقيق الحافظ ابن كثير، في هذا الكتاب، حينما قال: "ولاشك أن هذه الآية في سورة الحج، وهي مكية، ووقعت بدر بعد ذلك، إلا أن برازهم من أول ما دخل في معنى الآية". يعني يقول: إن علي -رضي الله عنه- لا يقصد أن الآية ما نزلت إلا ذلك اليوم، ولكن يقول: الآية تشمل ما وقع لي أنا ومن بارزناهم الثلاثة، فنجثوا يوم القيامة للخصوم بين يدي الله -سبحانه وتعالى-.
- ثم ذكر حمي الوطيس، والدعاء، وشيء من هذا القبيل، وأن الشيطان تبدى في صورة سراقة بن مالك، وأن الشيطان هرب، وزيَّن لهم الذهاب إلى أموالهم وأولادهم إلى آخره.
- يقول ابن كثير: فذلك قول الله -عز وجل-: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال: 48]، وهذا مثال من عدة أمثلة في القرآن الكريم، تدل على أن الشيطان يخذل من أطاعه في أحرج اللحظات، وليس هذا هو الموضع الوحيد، في آخر سورة الحشر، قال الله -عز وجل-: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر: 16، 17]، والشيطان نفسه -أعاذنا الله منه، ومن حبائله، وطرقه-. يخطب يوم القيامة في النار، يقوم خطيبًا: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [إبراهيم: 22]، أهل الجنة دخلوا الجنة، وأهل النار دخلوا النار ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ [إبراهيم: 22]، انظر الخبيث، الآن اعترف بأن وعد الله حق، ﴿وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ [إبراهيم: 22]، أنا ما غصبت أحد، لم أضع في رقابكم حبالاً، وأقول تعالوا، طيب ماذا عملت؟ ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم: 22]، وهذا مصداق قول الله -عز وجل-: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [العنكبوت: 25].
- إذن، لنحذر من نزغات الشيطان، لنحذر من إغوائه، كم زيَّن الشيطان من إثم، وذنب، ومعصية، ثم في الأخير خذله الشيطان، أحوج ما يكون إليه.

- ثم انتقل المؤلف -رحمه الله-، ذكر بعض التفاصيل، ومن المشاهد التي أشار لها الحافظ: أن عدد القتلى والأسرى من الكفار سبعين، وسبعين، وقُتل سبعون، وأُسر سبعون، وهذا معنى قول الله -عز وجل- في منَّة على الصحابة يوم انكسروا في أحد، قال: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ [آل عمران: 165] أصبتم يعني: أدركتم وحصلتم مثليها في بدر، في أحد قُتل سبعون من الصحابة، في بدر قتل الصحابة سبعين، وأسروا سبعين، فذكَّرهم الله، يقول: تذكرون يوم بدر، قتلتم سبعين، أصبتم مثليها الضعف، قتلتم في بدر سبعين، وأسرتم سبعين، وأنتم الآن تتساءلون بعد أن قُتل منكم سبعين ﴿أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: 165] إن الله على كل شيء قدير.
- المشهد الثاني: مشهد قتل أبي جهل، وهو مشهد عظيم، فيه عِبر، لكن من العِبر فيه: أن هذا الرجل بلغت به الكبرياء، والجبروت إلى آخر لحظة، قتله معاذ ومعوَّذ ابني عرفاء، لكن الذي أجهز عليه نهائياً من هو؟ عبد الله بن مسعود، جاء عبد الله بن مسعود، وكان قصير القامة -رضي الله عنه-، فارتقى على صدر أبي جهل، فقال له أبو جهل: **"لقد ارتقيت مُرتقاً صعباً يا رويعي الغنم"**، انظر **"رويعي الغنم"**، حتى ما قال: "يا راعي الغنم"، تصغير، احتقار، فقال: **"لمن الدائرة اليوم؟"** قال: **"لله ورسوله، وقد جاءك ما يسوؤك يا عدو الله"**، فأجهز عليه، وكان في هذا الشفاء في صدر عبد الله بن مسعود، فإنه كان أحد الذين يعذِّبهم أبو جهل في مكة.
- فَسُرَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- بهذا، وحمد الله -عز وجل-، ثم اجْتُرَّ صناديد قريش إلى قليب بدر، وقال لهم: **«هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقًا؟»**، فقال الصحابة: يا رسول الله، كيف تكلِّم أناسًا قد جيفوا؟ قال: **«ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»**، وهذه حياة برزخية، فأراد الله -عز وجل- أن يُري هؤلاء خزيهم في الدنيا قبل الآخرة، وليشف صدور قوم مؤمنين.
- ثم أنزل الله -عز وجل- في غزوة سورة الأنفال، ثم ذكر قصة، وفي بعض هذه التفاصيل قصص وأخبار، لا تثبت ولا تصح، لا نريد أن نطيل فيها؛ لأن قراءة كل حرف، قد يطيل، أو يخرج بنا عن المقصود.
- المشهد الأخير من مشاهد غزوة بدر: هي مسألة الاختلاف في الأسرى، هل يُمَنُّ عليهم؟ يعني يُسامحون، ويذهبون بالفداء، أم يُقتلون؟
- كان رأي عمر -رضي الله عنه- أن يُقتلوا، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر يميلان إلى مسألة الفداء، فنزل القرآن مؤيداً لقول عمر ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: 67- 70] إلى آخر الآيات الكريمات، فكان النبي -عليه الصلاة والسلام- يهوى أن يفادي، لكن كان رأي عمر أن لا يُفعل شيءٌ من ذلك.
- والسؤال: ما سبب ترجيح قول عمر؟

- السبب أن هؤلاء أئمة في الكفر، لا يصلح معهم خطاب اللين، وفي قتلهم زجر لبقية الرءوس، التي مازالت تشم الهواء في ذلك الوقت، فإنهم إذا علموا أن مصير هؤلاء القتل، فسيكونوا خائفين، ومرتعدين، فكان من الحكمة التي نزل القرآن بتصويبها في رأي عمر، أن يُقتلوا، ونحن نقول: إن المسألة كانت اجتهادية، يعني بمعنى لا يقول قائل أننا نقدح في رأي النبي -صلى الله عليه وسلم-، حاشا، لا، لكن كانت المسألة لم ينزل فيها نص، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- سأل أبا بكر، وسأل عمر، استشارهم، هؤلاء وزراؤه الكبار، فلما حصلت الاستشارة، نزل القرآن بتسديد رأي عمر، فرجع النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة مؤزًّا منصورًا، بمن معه من الصحابة، الذين لم يُقتل منهم إلا عدد قليل، فاختار الله منهم من اختار للشهادة، واصطفى منهم من اصطفى للقتال معه، وبقي منهم من بقي، حتى أدرك بعضهم سنوات متأخرة، كعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه وأرضاه-، وعاشوا بعد ذلك رِدْحًا من الزمن.
- ثم ذكر ابن كثير عدة المهاجرين: ستة وثمانين رجل، ومن الأوس واحد وستين، ومن الخزرج مائة وسبعون، ثم ذكر سبب قلة الأوس، مع أنهم أشد، والسبب أن مخرج الصحابة -رضي الله عنهم- كان في جهة العوالي، وهي أقرب إلى منازل الخزرج منها إلى الأوس، وأيضاً كما قلنا لم يكن هناك داعٍ للجهاد، إنما كان تلقيًّا للعير فقط، ولذلك لم يُعاتب النبي -صلى الله عليه وسلم- أحدًا تخلَّف أحدًا تخلَّف عن غزوة بدر، بخلاف الذين تخلَّفوا عن غزوة تبوك؛ لأن داعي الجهاد قد قام، كما سيأتينا -إن شاء الله- في موضعه.
- هنا ذكر عدتهم، وعدة المشركين، وغير ذلك في تفاصيل تُراجع في موضعها.

أبرز الدروس والعبر التي تُستفاد من هذه الغزوة.

❖ **أولاً:** أثر التربية الصادقة القوية، على المتربين إذا جاءت الشدائد والمواجهات، من أين نأخذ هذا؟

هؤلاء الصحابة -رضي الله عنهم- الذين أبلوا بلاءً عظيماً، هل كانوا أُخبروا بأن هناك معركة أو قتال؟ أبدًا، ومع ذلك ظهرت بطولاتهم، من أين ظهرت بطولاتهم؟ هناك تربية سابقة، لهذا أقول أيها الإخوة والأخوات، وأنا أتحدث إلى أناس ينتشرون على خريطة العالم، لا أقول العالم الإسلامي، بل العالم كله، الله الله في تربية أبنائكم، أعدوهم للمرحلة القادمة، فإن الأيام القادمة عظيمة، وحُبلى، أعدوهم، املئوا قلوبهم بالإيمان، املئوا قلوبهم بالصدق، املئوا قلوبهم بمحبة هذا الدين، بنصرته ولو بكلمة طيبة، أضعف الإيمان أن تنصروا هذا الدين باستقامتكم عليه، هؤلاء تربوا في مكة ثلاثة عشر سنة، وفي المدينة سنتين تقريبًا، على قال الله، قال رسوله.

كان الله -سبحانه وتعالى- يربيهم على قصص الأنبياء، يربيهم على تعظيمه -سبحانه وتعالى-، كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يربيهم بالقرآن المكي، وبأوائل ما نزل من القرآن المدني، على الاستسلام لله -عز وجل-، ولأمر رسوله -صلى الله عليه وسلم-، كان يربيهم على البذل لهذا الدين، على التضحية لهذا الدين، على الاستسلام لكل ما يرد إليهم، وعدم التلكؤ أو التباطؤ، ولهذا قال الله -عز وجل- لما نزلت هذه السورة العظيمة، سورة البقرة، مع ما كثرت ما فيها من الشرائع: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة: 285]، ماذا قال اليهود؟ ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: 93].

انظر إلى الفرق، مع أن اليهود لم تكثر عليهم الشرائع، كما كانت على الصحابة -رضي الله عنهم-، وليس هذا أول موضع يفضل فيه الصحب الكرام على أتباع موسى -عليه السلام-، أبدًا، انظر مثلاً في سورة المائدة، ذكر الله -عز وجل- أتباع النبي -صلى الله عليه وسلم-، وذكر أتباع موسى -عليه السلام-، وأتباع عيسى -عليه السلام-، أما أتباع موسى -عليه السلام- فتعرفون ما قالوا: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ [المائدة: 24]، أما أتباع عيسى، ماذا قالوا؟ ﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المائدة: 114] قبلها ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ [المائدة: 113]، إلى الآن الطمأنينة ما بلغت ذروتها، بينما الصحابة -رضي الله عنهم- يُحرَّم عليهم الصيد حال الإحرام، وتعرف الإنسان إذا كان في مسير، في طريق، ويمر عليه الصيد، وطعم لذيذ، لحم الظباء، وحمار الوحش، أطيب ما يكون، ومع ذلك يقول أبو قتادة: **"والله إن حمار الوحش، لَتَسْتَكُّ بفخذ أحدنا، والله ما يقربها أحدنا؛ ليعلم الله من يخافه بالغيب"**، فصدقوا -رضي الله عنهم-، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ [المائدة: 94]، يعني لو تلمسه بيدك لاستطعت أن تقبض عليه، أو تمسكه، ومع ذلك ما اقتربوا من الصيد -رضي الله عنهم-، الذي حُرِّمَ عليهم.

أرأيت الفريق بين أتباع الأنبياء؟ حتى تعلم كيف أن الله اختار لأفضل رسول أفضل أتباع وأصحاب.

إذن، نقول: على الآباء والأمهات أن يجتهدوا في التربية، وأن يحذروا من اليأس، بسبب المتغيرات الدولية، أو بسبب الثقافات التي غزت البيوت، والفضائيات إلى آخره، نعم هذا شر، لكن لم يجعل الناس في شر محض، بل ما يوجد في هذه الفضائيات السيئة، وهذه التقنية من آثار سيئة ومفاسد، هناك آثار ممتازة جدًّا، كم سهَّلت على المربين الحريصين على تربية أولادهم.

- **ثانياً:** إعمال الرأي والمشورة كما سبق ، فلا يستبد الإنسان برأيه ويقول: أنا أفهم كل شيء، وأنا أريد كل شيء، أقول هذا؛ لأن بعض الدعاة، وبعض طلاب العلم -هداهم الله- أحيانًا يكون في بيئة معينة، ويقول: أنا قصدي حسن، وأنا غرضي طيب، وحسن، ثم يتجاوز العقلاء، ويتجاوز الذين أكبر منه سنًّا، أو أكثر من خبرةً وعلماً، بحجة أنه غيور، وأنه حريص على دين الله -عز وجل-، لم تكن هذه معايير كافية لأن يتقدَّم الإنسان وحده، لو كان أحد يستغني عن الاستشارة، لكان النبي -عليه الصلاة والسلام-.
- **ثالثاً:** فعل الأسباب الشرعية، أو الحسية والمعنوية، الحسية بإعداد الجيوش ونحو ذلك، والمعنوية بالدعاء، وقد سمعتم قول الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الأنفال: 9].
- **رابعاً:** أيضًا على المُربِي أن يستخدم أسلوب التحفيز، كما ذكرنا قبل قليل، الربط بالآخرة، التحفيز بذكر فضائل هذا العمل الذي يفعله الآن، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **«ما بينكم وبين أن يدخل أحدكم الجنة، إلا أن يقتله هؤلاء»**.
- **خامساً:** أن دولة الباطل قد تنتفش زماناً، ووقتاً من الأوقات، لكنها لا تدوم، يُسلِّط الله عليها دولة الحق، فتكسر شوكتها، وتخضدها، وتنكِّس رايتها، كم بقي الكفار في مكة؟ وهم يؤذون المؤمنين، ويسومونهم سوء العذاب؟ خمس عشرة سنة، ثلاثة عشر في مكة، وسنتان في المدينة، فكسر الله

شوكتهم في يوم واحد، وفي أضحية واحدة، وهي اليوم السابع عشر، من شهر رمضان في يوم الجمعة، فيوم مبارك، وشهر مبارك، وغزوة مباركة.

❖ **سادساً:** أن شهر رمضان من أشهر الجد والنشاط والعزم، لا كما للأسف رسخ في نفوس كثير من الناس أنه شهر كسل، وشهر نوم، أو شهر تقليص للإنتاج، كلا، رمضان في تاريخ حفل بغزوات كبرى وعُظمى على رأسها غزوة بدر، وبعض الناس اليوم ما عنده استعداد يقرأ عشرة أجزاء في اليوم بحجة أنه في رمضان، وأنه في النهار صائم، وفي الليل نائم أو سهران، متى تقرأ؟ إذا كان رمضان عجزت أن تلحق فيه بركب العُبَّاد، فماذا تصنع بالجهاد لو أُقيم في رمضان، أو أُعلن في رمضان؟ ماذا تصنع؟ تقول: والله صايمين تعبانين، هذا لا يقوم الدين على أناس هذا طموحهم.

❖ **سابعاً:** ظهور الولاء والبراء في هذه الغزوة، بشكل واضح، الولاء لأهل الإيمان، وقبل ذلك لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وقبل ذلك لله -عز وجل-، والبراءة من أعدائهم.

انظر كم اجتمع في هذه المعركة من آباء وأبناء وأقارب، مثلاً أبو حذيفة -رضي الله تعالى عنه وأرضاه-، أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، أحد الصحابة البدريين، قاتل مع النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبوه في صف المشركين، الذي قتله مَن؟ حمزة، أو علي -رضي الله عنه-، كما تقدَّم قبل قليل، ومما يُذكر أن أبا عبيدة كان في صف المسلمين، وأبوه كان في صف المشركين، هنا إذا وصلت المسألة إلى هذا الحد، يبقى الولاء لله ولرسوله، فمادام أنه اضطر وبقي في صف يقاتل فيه أهل الإيمان، فهنا يظهر الولاء والبراء لله ورسوله، الولاء لأوليائه، والبراءة من أعدائه.

❖ **ثامناً:** أن التعقيب القرآني على قصة غزوة بدر، جاء بدروسٍ بالغة الأهمية جدًّا، ينبغي أن ينتبه لها الدعاة.

أول تعقيب لمن قرأ سورة الأنفال، يلحظ فيه التأكيد على قضايا كبرى، لاحظوا ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ﴾ التي هي الغنائم، قال الله -عز وجل-: ﴿قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: 1]، أين الجواب؟ هم يريدون كيف تُقسم، فما جاء الجواب إلا بعد أربعين آية، في قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: 41].

ما الذي جاء به القرآن هنا في أوائل الآيات؟ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 1، 4].

كلمة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ فيها إشارة إلى ماذا؟ إلى أنه لا يمكن تنتصروا على عدوكم، وأنتم لم تنتصروا على أنفسكم، لم تنتصروا على حظوظها، هذه واحدة.

ثانيًا: فيها إشارة إلى أن دخول الحسابات المادية بين الدعاة، بين المجاهدين، هذا يقول: أنا أريد أن أصير أمير، وهذا يقول أريد أن أصير لي كذا من الغنيمة، وأنا أولى، وأنا أحق، وأنا المفروض أصير كذا

وأصير كذا، وأصير كذا، هذه بداية النزاع، وبداية الفشل، ولهذا قال الله -عز وجل-، في ثنايا آيات سورة الأنفال، التي هي سورة غزوة بدر كما يقول ابن عباس: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46]، ولا أظني بحاجة إلى ذكر أمثلة في الواقع، انظروا إلى بعض الحركات التي ابتليت بغزو جائر من بعض بلاد الكفر، كيف كان القتال في بداية الأمر ضد هذا العدو، تقريبًا شبه موحد نقول، فلما خرج العدو مُنكسراً، رجعوا واقتتلوا بينهم، لماذا؟ لأن الدنيا حضرت، والحظوظ الشخصية حضرت، ولهذا حصل القتل، وحصل القتال، والبغي، فذهبت بركة وثمرة ذلك الجهاد، وأصبح الناس خصوصاً الأعداء يشمتون بأمثال هؤلاء، ويقولون: أثر قتالهم السابق، إنما كان لأجل المكاسب هذه، فصاروا يقتتلون، وتجد جماعات، وكل إنسان يستقل بإمارة، وكل إنسان يستقل بجماعة، ويقول: أنا أولى، وأنا أحق، وأنا أقدم، وأنا أكبر، وأنا فعلت، وأنا لم أفعل.

إذن في هذا التعقيب القرآني، درس عظيم جدًّا لأهل الإسلام، بأن يحذروا من حظوظ النفس، وأن يجتهدوا في إصلاح ذات البين ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: 1]، فإن لم يوجد إصلاح لذات البين، فقد استراح العدو، إذا كنا نريد أن نقاتل عدواً مُجمعاً عليه، كافر، غزى البلد، أو نحو ذلك، كيف نقاتله، ونحن في أنفسنا متنازعون؟ لا يمكن،

أيضًا إشارة إلى أن دخول المال في الحسابات هذه مُفسد، انظر ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ﴾ [الأنفال: 1]، انتظر، لم يأتك الجواب بعد، ثم تلاحظ كم وصية في التقوى، وكم وصية في ذكر الله -عز وجل-، والصبر، وعدم النزاع، وأن النزاع سبب الفشل، وذهاب الريح، وضعف القوى، ثم تسلُّط العدو وهكذا.

❖ **تاسعاً:** أثر التربية البيتية أو المنزلية -إن صح العبارة- أو تربية الوالدين لأولادهم، وهذه وإن لم نذكرها بالتفصيل، لكن جاء في ثنايا غزوة بدر، في سياقات كثيرة، منها ما رواه الإمام مسلم في صحيحه، من حديث عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- قال: "كنت يوم بدر بين غلامين، تمنيت أو قال: وددت لو كنت بين أجلد منهما، الرجل الكبير يحب أن يكون مع الكبار، فغمزني أحدهما، وقال: يا عم، أين أبو جهل؟ قال: وما حاجتك به يا ابن أخي؟ قال: إني سمعت أنه يسب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، يقول: فلم يكد ينتهي من مقالته، حتى غمزني الذي على يساري، وقال: يا عم، أين أبو جهل؟ قال: وما حاجتك يا ابن أخي؟ مثل الكلام السابق، يقول: فما كدت أجيبه، حتى رأيت أبا جهل يزول في الناس، يعني يمشي، وقلت: هذا صاحبكم الذي تنشدان، قالا: فانطلقا تخط أسيافهما في الأرض، قِصار، السيف إذا وضعه في الوسط يسحب في الأرض، يخط، قال: فقتلاه، معاذ ومعوَّذ ابنا عفراء، حتى جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- «كلاكما قتله»، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «كلاكما قتله».

السؤال: هذه النفوس الشابة القوية، التي تعلَّقت بالجهاد، وتعلَّقت بقتل عدو الله ورسوله، هل هذا خرج من فراغ؟ أم هناك تربية سابقة؟

هناك تربية سابقة، إذن البيت يتحمل كِفلاً عظيماً، أو جزءاً كبيراً من مسئولية التربية، خصوصاً ما قبل دخول المدرسة، وأنا أهنئ كل أمٍّ بقيت في بيتها، أو حتى ولو ارتبطت بعمل، لكنها أولت صغارها

التربية الإيمانية، التي تظهر آثارها في الشدائد، والله إن أول من ينتفع أيها الإخوة والأخوات من تربية أبنائه وبناته، على معالي الأمور، وعلى مكارم الأخلاق، وعلى الديانة، وعلى الإيمان، أول من ينتفع بذلك أنتم، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث»** ، وذكر منها: **«أو ولد صالح يدعو له»**.

هذا الابن أو البنت، إذا كبروا وصلحوا، فكل خيرٍ يعملونه بسبب تربيتكم لكم فيه أجر ونصيب.

❖ **عاشراً:** ظهر في هذه الغزوة مصداق قول الله -عز وجل-: **﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** [البقرة: 249].

عدد المسلمين أقل من ثلث المشركين، وليس هذا تهوُّرًا، هذا أصلاً لم يكن مُرتَّبًا له -كما قلنا أكثر من مرة-، لكن إذا بذل المسلمون السبب، سخَّر الله لهم جنود السماوات والأرض، ومما سخَّر الله له المسلمين في هذه المعركة، الملائكة، كما ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث ابن عباس، وفي آية الأنفال: **﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾** [الأنفال: 9]، الملائكة يأتمرون بأمر من؟ بأمر الله، وقتال الملائكة ليس كقتال أي أحد، الملك عن مئات وآلاف المقاتلين.

- وكان الصحابة يعرفون الرجل الذي تقتله الملائكة، بماذا؟

بعلامة في أصبعه، حتى قال الراوي الذي حدَّث عن ابن عباس أظنه الزبير، قال: **"لم أشعر إلا ورجل قد نَدَرَ رأسه"** ألتفت أرى أحد، ما وجدت أحدًا، هؤلاء الملائكة، وأنا أقول: والله الذي لا إله غيره، إننا إن صدقنا مع الله -عز وجل-، ونصرنا دينه حقًّا، كما يريد، ليمدنا الله -عز وجل- بجنود من عنده، نحن لا نحدد هذه الجنود، قد تكون رياح، قد تكون أمطار، قد تكون نكبات على العدو، قد تكون، وقد تكون، لكن المهم أن نصدق مع الله -عز وجل-، ونصلح علاقتنا به.

- هذه أيها الإخوة والأخوات إشارات عابرات، لهذه الغزوة العظيمة، غزوة بدر الكبرى، التي سماها الله -سبحانه وتعالى-: "يوم الفرقان"، فرَّق الله فيها بين الحق والباطل، وكان لهذه الغزوة آثارها بعد في قوة دولة أسسها النبي -صلى الله عليه وسلم- في المدينة، وفي ظل تناميها وقوتها، انكسرت دولة المشركين في مكة.
- **﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ﴾** [آل عمران: 13]، للحديث بقية.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

